دلالة المفردة القرآنية في
بعض آيات الوعد الإسرائيلي

م.م.   حسين عودة هاشم
قسم اللغة العربية/كلية التربية /جامعة البصرة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين ،مؤيدا بكتاب مبين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته الطاهرين ،وأصحابه المخلصين

لقد برع العرب في البلاغة ،وامتازوا بالفصاحة، وبلغوا الذروة في فنون الأدب فعقدوا النوادي والأسواق للمباراة في الشعر و الخطابة يباري بعضهم الأخر،ولما نزل القرآن الكريم متحديا لهم فيما برعوا فيه ،توقفوا عنده متأملين أسلوبه ،ليدركوا معانيه مرسلين حدا قهم ليميزوه أهو من الشعر أم من النثر أهو بليغ أم ركيك ،فجاء رد من بعثوه أن له لحلاوه وأن عليه لطلاوه ،وأن أسفله لمغدق ،وأن أعلاه لمثمر ،ولذلك أذعن بعضهم لأعجازه فآمن بالرسالة وبعضهم وقف حائرا أمام ما يسمع ،أيخضع له أم يجحد ؟ وهكذا كان القرآن الكريم معجزة الرسول الأعظم (ص) معجزا بكل شيء ،ولكل مختص –وفي أي علم – له وقفة فيه ووقفتنا نحن عند الجوانب اللغوية فيه ،لنسهم ولو بالنزر اليسير في بيان مدى دقة النص القرآني في اختياره للمفردة التي تتلاءم مع السياق العام للنص فهو قد يستعمل مفردة في موضع ما دون غيره لغاية أرادها الله تعالى ، ولو أبدلنا هذه المفردة بغيرها لما أدت المعنى المراد ،ولذلك كان سبب اختيارنا موضوع البحث إذ وجد البحث في آيات الوعد الإسرائيلي ألفاظا اختصت بهم وفي التعامل معهم ولم تستعمل مع غيرهم لتميزهم ،أو استعملت لوجود رابط بين موقفهم وموقف هؤلاء الآخرين فكانت خطة البحث أن نقف عند أهم المفردات واعني بالمفردة (الصياغة)أو(المادة) فتوقف البحث أولا عند مفردة (قضينا) إحصاءا ثم صيغة ثم توقف عند (بني إسرائيل)لبيان متى يستخدم هذا الاسم مع اليهود ومتى يستعمل (اليهود) ثم توقفنا عند مادة (فسد)و(لتعلن)و(وعد أولهما) و(بعثنا عليكم عبادا لنا) و(فجاسوا خلال الديار و(كان وعدا مفعولا)وهكذا متعاملين مع بقية مفردات الآيات القرآنية المدروسة لذلك لم اقسم هذا البحث إلى مباحث أو فصول لما يوجد بين مفردات الآيات من ترابط غير قابل للفصل ولان الدراسة كانت معتمدة على مستوى واحد من مستويات التركيب وهو (دلالة المفردة)وأخيرا اختتمت البحث بأهم النتائج

الباحث

قال تعالى ((**قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً**)) ١

جاءت مفردة قضى في القرآن الكريم بمواضع عديدة دالة على معان مختلفة ،منها الحكم والإخبار والإيحاء وجاءت هنا لتدل على معنى الإعلام والإخبار ف(قضينا)هنا تعني أعلمنا وأخبرنا كما نسب إلى ابن عباس ٢ وقيل أيضا أن معناها (حكمنا،وأصل القضاء الإحكام للشيء والفراغ منه قاله قتادة))٣ وقيل إن معناها (أوحينا)أي :أي أوحينا إليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا لا محالة معه من الإفساد ٤ وعلى قول قتادة تكون(إلى) بمعنى (على) لأنه أولها بالحكم أما على رأي من قال بالإيحاء ف (إلى) تبقى على معناها ،وقد وردت مادة قضى في القرآن الكريم أربعا وثلاثين مرة يطرد مجيؤها بالصيغة الفعلية إحدى وثلاثون مرة وثلاث مرات فقط ،ووردت اسما شبيها بالفعل (مرتين)منها اسم فاعل وواحدة فقط اسم مفعول إلا أن اتصال هذه المادة بالضمائر جاء متفاوتا ،إذ لم تتصل هذه المادة وهي بصيغة الماضي بالضمير (نا)العائد على الذات الإلهية إلا أربع مرات فقط منها لقضاء الأمر لموسى (ع) اذ قال جل من قائل ((**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**))٥ أي قضاء النبوة وأخرى في قضاء الأمر إلى لوط (ع) وهو الإبلاغ بالقضاء على قومه وقطع دابرهم إذ قال تعالى ((**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ**))٦ وأخرى في قضاء الموت لسليمان (ع)إذ قال تعالى ((لَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ فلما))٧

١-الإسراء ٤

٢-ينظر ابن كثير :٢٧،والجامع لأحكام القرآن :القرطبي ٢١٤/١٠ والميزان ٣٨/١٣

٣- القرطبي ٢١٤ وينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧/١٥

٤-ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢١٤/١٠،والكشاف ،الزمخشري ٤٣٦، وتفسير شبر ،عبد الله شبر ٢٧٩

٥- القصص ٤٤

٦-الحجر ٦٦

٧- سبأ ١٤

والمرة الرابعة في هذه الآية وتخص القضاء لبني إسرائيل بالفساد والعلو مرتين فقال تعالى((**قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً))** فالقرآن الكريم لم يأتي بهذه الصيغة أي (قضى بصيغة الماضي + نا)إلا عند مخاطبة الأنبياء ففي القصص خاطب موسى (ع) وفي (الحجر)خاطب لوط (ع) وفي (سبأ) كان القضاء يخص سليمان (ع) إلا في هذه السورة (الإسراء) فأنه خاطب بني إسرائيل بهذه الصيغة الخاصة بالأنبياء وهذا شيء يستدعي الوقوف عنده ولو تأملنا الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الصيغة والموضوعات التي تناولتها لوجدناها موضوعات ذات شأن كبير ففي (القصص) قضى لموسى بالنبوة ،وهو أمر ذو شأن عال ،ولا يصدر إلا من عال لأنه عملية تنصيب تناسب الضمير (نا) الذي يفيد التفخيم أما في (الحجر٦٥) والقضاء يتعلق بإنزال العقوبة وإصدار أمر بالعقوبة لا بد من أن يصدر ممن يمتلك القوة ومقاليد الحكم ،أي :لا بد من أن يصدر من جهة عليا فناسب بين اللفظ والموضوع ،وكذلك الحال بالنسبة لموت سليمان (ع) فأنه أمر ينفرد به الله تعالى إذ لا سواه له القدرة على الإماتة والإحياء ولهذا فهو أمر عظيم فضلا عن انه رد على زعم الجن بعلمهم كل شيء ،وهو زعم كبير فاستعمل القرآن له هذا التركيب (قضى +نا)أما في الإسراء فان القضاء يخص بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض وعلوهم واستكبارهم وهو أمر عظيم عند الله تعالى .وللإشارة إلى عظمة هذا الأمر وأهميته استعمل هذه الصيغة وبهذا الترتيب كما استعملها في الآيات السابقة ،فالمشترك بين هذه الآيات والجامع بينها هو عظم الأمر الذي تناولته فضلا عن الإشارة إلى حتمية الوقوع إذ أن كل الموارد التي ورد فيها تركيب (قضى +نا) قد وقعت حتما مما يدفعنا إلى القول بحتمية وقوع الاستعلاء والإفساد اليهودي،إذ أن الله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون

إسرائيل

إسرائيل لفظ عبري يعني (عبد الله) وهي لقب يعقوب (ع) وهي مركبة من (اسرا) بمعنى عبد و(آيل) بمعنى (الله) تعالى ٨ ،هذا الاسم ورد في القرآن الكريم ثلاثا وأربعين مرة ٩ ويعد هذا الاسم في الاستعمال القرآني الاسم الرسمي لليهود إذ أن القرآن لم يستعمل هذا الاسم للدلالة على تلك الفئة إلا عندما يريد أن ينسب إليهم شيئا عاما أو عندما يريد أن يثبت لهم حكما ،كما في قوله تعالى **((كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ١٠ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))** فلم يقل الله تعالى (كل الطعام كان حلا لليهود)حتى لا يضفي على لفظة (يهود) الصفة الشرعية لان (هاد) يعني تاب أو رجع إلى الحق ١١ فلو قال في مثل هذا المقام (كل الطعام كان حلا لليهود) لفهم من النص أنهم تابوا وظلوا تائبين ولم ينحرفوا والحال غير ذلك والقرآن لم يستعمل لفظة اليهود بمعنى التائبين إلا في مواطن الحكاية عن لسانهم أو في مقام ذمهم كما في قوله تعالى **((وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ))١٢** وكثيرا ما يقرنهم مع النصارى ،إذ وردت كلمة (يهود) ثماني مرات و(هودا)ثلاث مرات و(يهوديا) مرة واحدة وجميعها ذم لهم إلا آية١٣

٩-ينظر مواهب الرحمن ، السيد عبد الأعلى السبزواري ٢٠٢/١

١٠-البقرة ٨٣،١٢٢،٢١١،٢٤٦،٤٠،٤٧ ،آل عمران ٤٩،٩٣ ،المائدة ١٢،٣٢،٧٠،٧٢،٧٨،١١٠ ،الأعراف ١٣٤،٧،١٣٧،١٣٨ ويونس ٩٠،٩٣ والإسراء ٢،٤،١٠١،١٠٤ ،ومريم ٥٨ وطه ٩٤،٤٧،٨٠ والشعراء ١٧٩،٥
١٧،٢٢،٩ والنمل ٧٦ والسجدة ٢٣ وغافر ٥٣ والزخرف ٥٩ والدخان ٣٠ والجاثية ١٦ و الاحقاف ١٠ والصف ٦،١٤

١١-آل عمران ٩٣

١٢- ينظر لسان العرب مادة (هود) مج ٤٣١/٣

١٣- البقرة ١١٣

الوعد بإطفاء نارهم وهي ذم لهم إلا انه لم يقرنهم فيها مع النصارى ،إذ قال تعالى ((**كلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ))١٤** ولكن لما أراد الله جل شأنه أن يضفي الصفة الشرعية على هذه المفردة في حالة خاصة وهي عند توبتهم عن عبادة العجل ،ورجوعهم إلى موسى (ع) عدل عن الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية ،فقال (الذين هادوا))التي وردت إحدى عشرة مرة ١٥ لإعطاء فعلهم في ذلك الوقت الصفة الشرعية ولم يقل (التائبين) لأنهم انحرفوا بعد ذلك فناسب بين اللفظ والمعنى وذلك لما في الجملة الفعلية من دلالة على التجدد والحدوث ،خلاف الجملة الاسمية التي تدل على الاستمرار والثبوت ١٦ وبذلك دلت على عدم دوام توبتهم ورجوعهم ومن ذلك نستنتج أن لفظة (اليهود) أو اشتقاقاتها اسم يستعمل لإغراض خاصة وحالات خاصة في القرآن الكريم ،أما الاسم الشائع لهم فهو بنو (إسرائيل)١٧

في الكتاب

قيل اللوح المحفوظ ٥ وقيل التوراة ١٨ والثانية اقرب إلى الصحة فقد استعمل القرآن الكريم لفظ (كتاب) بمعنى التوراة والإنجيل مرات عديدة وفي مواضع مختلفة قال تعالى **((فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ))١٩** فاطلا ق كلمة (الكتاب)بقرينة الحديث عن بني اسرائيل تدل على ان المقصود منها التوراة لا اللوح المحفوظ فضلات عن مجيء قوله تعالى **((وآتينا موسى الكتاب))** قبل هذه الآية مما يدل على ان بداية الوعد الاسرائيلي تكون من عهد موسى (ع)

١٤-المائدة ٦٤

١٥-البقرة ٦٢،النساء ٤٦،١٦٠ ، ،المائدة ٤١،٤٤،٦٩ ،الانعام ١٤٦،النحل ١١٨،الحج١٧،الجمعة ٦

١٦-ينظر البحر المحيط ،ابو حيان الاندلسي ٤٨٠/١

١٧-ينظر بحار الانوار ،المجلسي ٢٦٥/١٢

١٨-ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢١٤

١٩-الكشاف مج ٤٣٦/٢
٧-الاعراف ١٦٩

((لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ))

الإفساد في اللغة :يعني خروج الشيء عن الاعتدال سواء آكان ذلك الخروج قليلا أم كثيرا و يضاد الصلاح ،ولفظة الفساد تستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة [١] وهذا هو الوعد الأول الذي وعد الله بني إسرائيل والقرآن الكريم لم هذه اللفظة الا وأراد بها المعنى الاجتماعي ، أو السياسي في الأرض وكثر استعمالها مع الجماعة لا المفرد ،فقد تكرر مصطلح (الإفساد في الأرض) ثماني وعشرين مرة ،إلا أن أنواع الفساد قد اتخذت أنواعا متعددة إلا أننا يمكن أن نحصرها بما يأتي :

الأول : إفساد الملوك والحكام ، ويكون هذا على نق واسع لما لهؤلاء من قدرة على نشر الفساد في الأرض

الثاني : فساد الرعية بما يقترفونه من ارتكاب المعاصي من البخس بالميزان وأكل أموال اليتامى وأنواع الذنوب الأخرى ،إذ قال تعالى **((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ))**[٢] وقال تعالى **((وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ◌وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ))[٣]**

---

[١] -ينظر المفردات ،الراغب الاصفهاني
[٢] -البقرة ١١،١٠
البقرة ٢٠٦،٢٠٥

الثالث : ما يكون عملا من نوع التعدي على الناس وظلمهم وصدهم عن سبيل الله اذ قال تعالى ((**تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ و َتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**))١ وقال تعالى ((**الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ**))٢

الرابع :التكذيب بآيات الله وعدم الإيمان بها إذ قال تعالى ((**مِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**))٣ وقال **تعالى** ((**ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**)) ٤

ومنها تنازل المسلمين عن الموقف السياسي الموحد تجاه الكفر مثلما نجده الآن في موقف الأمة الإسلامية والعربية تجاه اليهود وعدوانيتهم واستيلائهم وعبثهم في القدس الشريفة ،وعلى هذا فان العديد من موارد الإفساد في الأرض الواردة في القرآن الكريم تنطبق على اليهود في زمن موسى (ع) وما بعد موسى (ع) ومما يلفت الانتباه أن الفعل (فسد)الوارد في آية الوعد الإسرائيلي وقع مؤكدا بالنون واللام الدالة على وقوع الفعل جوابا لقسم محذوف ويجوز أن يجري القسم المبتوت مجرى القسم فيكون (لتفسدن) جوابا له كأنه قال :وأقسمنا وبالتالي يكون إفسادهم حتى الوقوع ولهذا وقع الخلاف ،في ما إذا كان الفساد قد وقع أم لا ،فبعضهم قال إن الإفساد الأول قد وقع بقتل زكريا وحبس آراميا حين انذرهم سخط الله والثاني :قتلهم يحيى بن زكريا ٥ وبعضهم قال إن الأول هو قتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى ٦

١-الأعراف ٨٦
٢-النحل ٨٨
٣-يونس ٤٠
٤-الأعراف ١٠٣
٥-ينظر الكشاف ٤٣٦/٢-٤٣٩
٦-ينظر تفسير شبر ٢٧٩

و بعضهم قال بوقوع الأول أما الثاني فلم يقع بعد ويتوقع أن يكون ما هم عليه اليوم من البطش وسفك الدماء وعدم احترامهم القانون الدولي وهو بداية الإفساد الثاني وبداية انتهاء علوهم [١] ويبدو انه الرأي الأرجح لكون العلو الكبير يحتاج إلى كيان كبير ذي سلطة واسعة مهيمنة لها ما لها من الإمكانات المدنية والعسكرية ولم يحدثنا التاريخ يوما أن بني إسرائيل قد بلغوا ذلك الشأن بل إن ما هم عليه هم اليوم من الهيمنة على العالم وتحكمهم في وضع القرارات السياسية للدول العظمى هو المطابق لواقع الحال مع السياق ألقراني وعلى ذلك يكون بنو إسرائيل قد استوفوا كل أصناف الفساد في الأرض

((وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً))

العلو في الأرض التكبر ،وركوب أعناق الآخرين ،والسيطرة عليهم [٢] وقد تحدث القرآن الكريم ،وبمواطن مختلفة عن العديد من الطغاة كالنمرود ،وفرعون وملئه إذ قال تعالى **((ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ))**[٣] وقال تعالى **((َأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))**[٤] إلا أن علو فرعون لم يصفه بوصف معين على حين انه وصف علو بني إسرائيل الموعود بأنه (كبير) وهذا الوصف لا ينطبق على شيء من تاريخ بني إسرائيل إلا في ماهم عليه الآن من العلو والاستكبار ،حيث بلغ فراعنة المال والسياسة اليهود من السيطرة على المسلمين ما لم يبلغه فرعون مصر نفسه

---

[١] ينظر الميزان ٤٢/١٣

[٢] ينظر لسان العرب مادة (علا)

[٣] المؤمنون ٤٦

[٤] النمل ١٢-١٤

((**فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً**))

((**وَعْدُ أُولاهُمَا**))أي :وعد عقاب أولاهما ١

((**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا**))تستعمل مادة (بعث) في القرآن الكريم في بعث الله للمؤمنين وغيرهم قال تعالى ((**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**))٢ وقال تعالى ((**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**)) ٣ وقال تعالى ((**فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**)) ٤وفي ضوء هذا الاستقصاء حكم المفسرون على ان قوله تعالى ((**بعثنا عليكم**)) لا يدل على أن المبعوثين مؤمنون ولذلك قالوا هم أهل بابل وكان عليهم بختنصر ، وقيل أرسل عليهم جالوت وقومه فقتلهم وقومه أولو بأس شديد ،وقيل جاءهم جند من فارس ،وقيل هو سنحا ريب من أهل نينوى بالموصل وقيل إنهم العمالقة ٥ لكن عندما نقف عند مادة بعث واستعمالها في القرآن الكريم نجد أنها لا تستعمل إلا في بعث الآخرة أو ما يشابهه وبعث الأنبياء وما يشابهه ،ونلاحظ أيضا أن بنية (بعث) استعملت سبع مرات ، خمس منها للأنبياء عليهم السلام وواحدة لبعث طالوت وواحدة لبعث الغراب ، أما تركيب (بعث +نا) فاستعمل سبع مرات خمس منها للأنبياء وواحدة لنقباء بني إسرائيل ،وواحدة لمعاقبة بني إسرائيل ولذلك لا نستطيع أن نحكم بملاحظة عامة لاستعمال جميع مشتقات

١-ينظر الكشاف ٤٣٦/٢-٤٣٩

٢-الجمعة ٢

٣-الأعراف ١٦٧

٤- المائدة ٣١

٥- الكشاف ٤٣٦/٢-٤٣٩ينظر الجامع لإحكام القرآن ٢١٥/١٠ والميزان ٣٩/١٣

المادة في القرآن الكريم فنحكم بعموم استعمالها فكثيرا ما يكون استعمال المادة عاما إلا أن استعمال صيغة ما وبتركيب ما من تلك المادة هو الذي يكون خاصا كما هو الحال في صيغة (بعث) داخل تركيب (بعث + نا) مما يشكل قرينة على إيمان المبعوثين تضم إلى غيرها من القرائن وتعدية الفعل (بعث) في هذه الآية ب(على) دليل على سوء ما يفعله هؤلاء العباد لبني إسرائيل جزاء لما صنعه بنو إسرائيل[١]

((عِبَاداً لَّنَا))

إن مادة (عبد) وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة وكل صيغة وردت فيها تدل على معنى يختلف عن الآخرين فقد وردت بصيغة (عبد) و(عباد) و(عبيد) حيث نجد أن كلمة (عبد)مضافة إلى الضمير (نا) استعملت في القرآن خمس مرات وجميعها اختصت بالأنبياء عليهم السلام[٢]أما صيغة (عبد) مضافة إلى ضمير الغائب فقد استعملت سبع مرات وجميعها للأنبياء عليهم السلام فلم يستعمل القرآن الكريم هذه الصيغة مضافة إلى ضمير المتكلم (نا) أو الغائب (الهاء) العائدين على الله جل شأنه إلا وأراد بها الأنبياء أما صيغة (عباد) المضافة إلى ضمير المتكلم (نا) العائد على رب العباد فلم يستعملها إلا وأراد بها المؤمنين أما تركيب (عباد +اللام +نا) فلم يستعمله القرآن إلا في هذا الموضع وإذا كان استعمال تركيب (عبادنا) لم يرد مع المؤمنين فما بالك في هذا التركيب إذ إن القرآن الكريم قد استعمل فيه اللام مع (نا) هذه اللام الدالة على النسبة والاختصاص فكأن الله تعالى أراد أن يجعل هؤلاء العباد خاصين به أو أن لهم شأنا خاصا ولا يكون ذلك إلا أن يكونوا مؤمنين لوجود قرينتين ، الأولى :إضافة الضمير العائد على الله تعالى إلى لفظة (عباد) ،وفي غير هذا الموضع لم يأت الا وأراد بهم المؤمنين والثاني : دخول لام النسبة

---

[١]- ينظر في دائرة النقد اللغوي ،يوسف نمر ذياب ٣٧
[٢]- البقرة ٢٣،الانفال ٤١،القمر ٥٤

فضلا عن قرينة (بعثنا) هذه الصيغة التي لم تستعمل في القرآن إلا مع الأنبياء والأوصياء وفي ضوء ذلك تقوى القرينة الدالة على إيمان هؤلاء المبعوثين ،وإذا ما أخذنا بالرأي القائل بأن فساد بني إسرائيل وعلوهم ،قد بدأ الآن ولم يحصل سابقا ،فالنتيجة تكون أن هؤلاء المبعوثين لما يبعثوا بعد

(أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ))

وهو وصف للمبعوثين دال على قوتهم وسطوتهم وحتمية انتصارهم على بني إسرائيل فاجتماع البأس والشدة لا يكون إلا مع من يمتلك القدرة ،وصيغة شديد استعملها القرآن ليصف بها الله في غير هذا الموطن ١ واستعملها هنا ليصف بها هؤلاء المبعوثين مما يشكل قرينة على إيمانهم بالله تعالى لكونه وصفهم بالصيغة التي يصف بها نفسه وبالتالي تكون قوتهم مستمدة منه تعالى فهذا الوصف يشكل قرينة مؤيدة لإيمان هؤلاء لا كما قيا إنها تشكل قرينة لعدم إيمانهم بحجة ان قوله تعالى ((أولي بأس شديد)) يؤكد كون البعث ليس بعثا إلهيا وان هو بعث أتي به للمجازاة وبذلك يصح أن يكون المبعوثون كفارا ٢ لكن الاستعمال القرآني يؤكد أن المبعوثين مؤمنون لوصفه المؤمنين في غير هذا الموضع بالشدة وفي الأخص على الكافرين إذ قال عز من قائل ((**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**))٣ والسياق هنا يقتضي كون المبعوثين مؤمنين لأنهم مرسلون على من عاثوا في الأرض فسادا

((فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ))

الجوس :مصدر قولك :جاسوا خلال الديار :أي تخللوها ،فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الإخبار أي يطلبها) وقوله تعالى (فجاسوا خلال الديار) أي قتلوكم بين بيوتكم ،فطافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه ، وقال ا بن

---

[١] -البقرة ١٦٥،١٩٦،٢١١آل عمران ١١، المائدة ٢،٨٩،المائدة ١٣

[٢] -ينظر الميزان ٣٩/١٣

[٣] -الفتح ٢٩

ابن عرفة :أي فعاثوا وأفسدوا)[1]وقيل معناه الوطء ،أي فوطئوا [2]ونقل عن الأصمعي أن معناه الدوس وقيل الجوس والجو سان :التردد خلال الدور والبيوت في الغارة ،وقيل الجو سان : الطوفان بالليل [3]، وقيل (الجوس طلب الشيء باستقصاء)[4]والملاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل هذه اللفظة في غير هذا الموضع والمعنى المتعارف للجوس هو الطوفان خلال الديار ولكن الذي يبدوا من خلال الآية ان كل المعاني مطلوبة ، فاختيار هذه المفردة في هذا المكان مركبة من هذه الحروف ذات الصوت العالي وبعضه الانفجاري والمتفشي ،فالجيم الذي يدل على الشدة [5] يتناسب مع قوله تعالى (أُوْلِي بَأْسٍ شديد) والسين الدال على التفشي والانتشار يتلاءم مع قوله تعالى (أكثر نفيرا) ولذلك لم يقل يقتلونكم أو يطلبونكم فلو استعمل أي مفردة من تلك المفردات لفهم المتلقي معنى واحدا فقط وإنما أراد القرآن تلك المعاني جميعها وأراد أن يناسب بين اللفظ والمعنى وهذا هو ديدن القرآن العزيز في دقة اختياره للمفردة المراد منها تأدية معنى ما

((وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً))

أي وعد لا بد أن يفعل[6]ولذلك وصف وعدا باسم المفعول الدال على الثبوت والاستمرار [7]فكأن هذا الوعد أصبح ثابتا عليهم لا بد من أن ينجز

((ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً))

أي رددنا لكم يا بني إسرائيل الدولة والغلبة لما تبتم ورجعتم وأطعتم وأمددنا لكم بمال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا[8]النفير العدد من الرجال [9]وظاهر الآية يدل على أن دولة بني إسرائيل عادت إليهم بعد وعد المرة الأولى فيبلغون أعداءهم ويتخلصون من

---

[1] ١- العباب الزاخر واللباب الفاخر ،الصغاني ،حرف السين ٨١

[2] ٢--ينظر التهذيب ،الأزهري ٢١٩/١١

[3] ٣-ينظر العين ١١٣

[4] ٤- مجمع البيان ٢١٩/٦ وينظر صفوة البيان لمعاني القرآن ،الشيخ محمد مخلوف ٣٥٩/١٥

[5] ٥-ينظر الأصوات اللغوية ،إبراهيم أنيس ٧٨

[6] ٦-ينظر الكشاف ٤٣٦/٢

[7] ٧- ينظر معاني الأبنية في العربية ،د فاضل السامرائي ٥٩

[8] ٨-ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٠ ومجمع البيان ٢٢٢/٦

[9] ٩-الميزان ٣٨٠/١٣

الاستعباد ،والاسترقاق وان هذه الدولة سترجع إليهم تدريجيا في برهة معتد بها من الزمن لان عملية إمدادهم بالمال والبنين وجعلهم أكثر نفيرا تحتاج زمنا طويلا ١ وهذا يؤيد أن الفساد الثاني وعلوهم لم يكن حاصلا وإنما الحاصل هو الفساد الأول لهم من دون العلو أما الفساد الثاني والعلو فلم يكن حاصلا إذ لم يخبرنا التاريخ كما قلنا إن بني إسرائيل كانوا أصحاب مال وبنين ودولة وأن لهم نفيرا ،بل أخبرنا على العكس من ذلك إذ إنهم كانوا شرذمة متفرقة ولم يكونوا ذا عدد والوصف الذي تبينه الآية لا ينطبق إلا على ما هم عليه الآن من كثرة أموالهم وسيطرتهم بها على السياسة الدولية للدول الكبرى وكثرة أنصارهم ومؤيديهم سواء أكانوا غربا أم عربا متغربة فالقرآن الكريم لم يقل (نفرا) وإنما قال (نفيرا) وهذه الصيغة الدالة على الكثرة تتماشى مع ما هم عليه اليوم لكونها لا تستعمل إلا فيما يدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كالسجية فيه ، أي أصبح هذا الوصف ثابتا في الذات ٢

((إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا))

اللام في (لأنفسكم)، أو في (فلها) للاختصاص أي :إن كلا من إحسانكم وإساءتكم يختص بأنفسكم من دون أن يلحق غيركم وهذه هي سنة الله سبحانه و تعالى ٣ وقيل ان المقام مقام بيان أثر العمل لصاحبه خيرا كان أم شرا وليس مقام بيان أن الإحسان ينفع صاحبه والإساءة تضره حتى يقول وان أسأتم فعليها كما قيل ((لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت))٤ وهذا رد على من قال إن اللام في (فلها) بمعنى على ٥ وعلى قول من قال :إنها بمعنى (إلى) لان الإساءة تتعدى بها وقول من قال :إنها للاستحقاق كقوله تعالى ((ولهم عذاب اليم)) إذ إن الله تعالى أراد أن يميز بين أثر الإساءة الذي يتعدى إلى فاعله وغيره وبين أثر الإساءة في الآخرة الذي لا يتعدى صاحبه ٦ وهذه نكتة طالما عودنا القرآن الكريم في أسلوبه على مثلها

١-ينظر الميزان ٣٩/١٣
٢- ينظر معاني الابنية في العربية ١١٧
٣-ينظر الميزان ٤١/١٣
٤-البقرة ٢٨٦
٥-ينظر الجامع ٢١٧/١٠
٦-ينظر الميزان ٤١/١٣

((فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً))

أي إذا جاء وعد المرة الآخرة من قوله تعالى ((لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ))والمراد (بالذي جاء)وعد الجزاء على الفساد في الأرض في المرة الأخيرة ١ وجواب (إذا) محذوف تقديره (بعثناهم) لدلالة بعثنا الأول عليه ٢

((لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ))

أي :ليسوؤوا كم بالقتل ،والأسر ويقال :سئته أسوؤه مساءة ،إذا أحزنته وقيل معناه :ليسوؤوا كباركم ورؤساءكم ،وفي مساءة الأكابر وإهانتهم مساءة للاصاغر ٣ و(ليسوؤوا) متعلق بفعل مقدر للإيجاز واللام للغاية والتقدير بعثناكم ليسوؤوا وجوهكم بظهور الحزن والكآبة فيها وظهور آثار الذلة والمسكنة ٤ ومن ثم يدخلون المسجد الأقصى ويتمكنون فيه بعد تمكنكم فيه

((وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً))

التتبير الهلاك ويبدو ان القرآن الكريم استعمل لفظة (تتبير) دون لفظة هلاك لما في هذه المفردة من دلالة على الشدة ووقع السيف فيهم إذ إن توالي التاءات في المفردة يوحي بوقوع ضرب شديد متوال يؤدي إلى هلاكهم وهذا يتناسب مع وصف هؤلاء المبعوثين ب(اولي بأس شديد) ويتناسب مع قوله (حصيرا) وهي الدالة على حبسهم بشكل محكم فضلا عن انه أتى بالفعل ومصدره بالتوكيد عن وقوع التتبير وشدة ما يفعله هؤلاء المبعوثون في بني إسرائيل

١- ينظر مجمع البيان ٢٢٣/٦
٢- ينظر الجامع ٢٢٣/٢
٣- ينظر مجمع البيان ٢٢٣/٦
٤- ينظر الميزان ٢٤٤/١٣ والكشاف٤٣٦/٢

الخاتمة

- وردت مادة قضى (أربعا وثلاثين مرة) (أحدى وثلاثين مرة) فعلية و(ثلاث) مرات اسمية ولم تتصل هذه المادة قضى وهي بصيغة الماضي بالضمير (نا)العائد على الذات الإلهية إلا أربع مرات فقط ، منها في القصص ٤٤ والحجر ٦٥ وسبأ ١٤ والإسراء ٤ وفي السور الثلاث الأول جاء بها مخاطبا للأنبياء عليهم السلام إلا في الإسراء فانه خاطب بها بني إسرائيل وهي صيغة خاصة بالأنبياء وذلك لان موضوع بني إسرائيل ذو شأن كبير عند الله كما كان موضوع الأنبياء ذا شأن كبير عند الله فالمشترك بين هذه الآيات والمسوغ لاستعمال هذه الصيغة فيهن هو عظم المر الذي تناولته فضلا عن الإشارة إلى حتمية وقوع الاستعلاء
- ورد (إسرائيل) في القرآن الكريم ثلاثا وأربعين مرة و ويعد هذا الاسم في القرآن الاسم الرسمي العام لليهود إذ إن القرآن لم يستعمل هذا الاسم للدلالة على هذه الفئة إلا عندما يريد أن يثبت لهم حكما عاما ولم يستعمل لفظة يهود في مثل هذا المقام حتى لا يثبت لهم الصفة الشرعية أما كلمة (يهود) فقد وردت ثمان مرات و(هودا) ثلاث مرات و(يهوديا) مرة واحدة وجميعها ذم لبني إسرائيل وهذه اللفظة بجميع مشتقاتها تستعمل في القرآن الكريم لأغراض خاصة وحالات خاصة أما الاسم العالم فهو (بنو إسرائيل)
- وردت مفردة (الإفساد) في القرآن ثمان وعشرين مرة وبأشكال متعددة

- استعملت (بعث) سبع مرات ،خمس منها للأنبياء وواحدة لطالوت وواحدة لبعث الغراب وقد استعملت هذه الصيغة المادة للدلالة على بعث المؤمنين وبعث الآخرة أو ما شابهها
- استعمل تركيب (بعث + نا) سبع مرات ، خمسة منها للأنبياء وواحدة لنقباء بني إسرائيل وواحدة لمعاقبة بني إسرائيل ولم تستعمل هذه المادة في هذا التركيب إلا مع الأنبياء مما يشكل قرينة على إيمان هؤلاء
- استعملت صيغة (عبد) مضافة للضمير (نا) خمس مرات وجميعها اختصت بالأنبياء عليهم السلا م واستعملت في هذه الآية (عبادا لنا) لتدل على العباد الذين ينتقمون من بني إسرائيل مما يشكل قرينة على إيمان هؤلاء المبعوثين لا كما قال اغلب المفسرين لأن هذه الصيغة لم تستعمل إلا مع الأنبياء فضلا عن دخول اللام الدالة على الاختصاص والنسبة على الضمير (نا) (عبادا لنا) فكأن الله تعالى أ راد أن يجعل هؤلاء العباد خاصين به أو أن لهم شأنا كبيرا عنده ولا يكون ذلك إلا إذا كانوا مؤمنين
- استعملت صيغة (شديد) لوصف المبعوثين في غير هذا الموطن لوصف الله تعالى مما يشكل قرينة على إيمان المبعوثين تضم إلى القرائن الأخرى
- لم تستعمل مادة (جاس) في القرآن إلا في هذا الموطن ولو استعمل غيرها لما أدى المعنى المراد إذ إن هذه المفردة بما تتكون من حروف تتلاءم والسياق العام للآيات الواردة فالجيم بشدته يتناسب مع قوله (أولي بأس شديد) والسين بتفشيه يتناسب مع قوله (أكثر نفيرا)
- لم يقل (نفرا) وإنما قال (نفيرا) لان هذه الصيغة الدالة على الكثرة تتناسب وما سيكونون عليه لكونها تدل على معاناة الأمر وتكراره حتى يصبح كالسجية

- استعمل القرآن لفظة (تتبيرا)دون لفظة هلاك لما في هذه المفردة من دلالة على الشدة ووقع السيف فيهم إذ إن توالي التاءات يوحي بوقوع الضرب الشديد المتوالي المؤدي إلى هلاكهم وهذا يتناسب مع وصف المبعوثين ب(أولي باس شديد) ويناسب قوله (حصيرا)

المصادر

١-القرآن الكريم

٢- بحار الأنوار، المجلسي، ط٢ مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ ه، ١٩٨٣

٣- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨

٤- تفسير شبر ، السيد عبد الله شبر، راجعه حنفي داود، دار الكتب العلمية، بغداد

٥- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشي ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢/١٩٩١ه

٦- التهذيب، الأزهري، أبو منصور محمد بن احمد، الدار المصرية للتأليف والترجمة

٧-جامع البيان عن تأويل آي من القرآن، الطبري، خط وتوثيق، صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥/١٩٩٥

٨- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٥

٩- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م

١٠- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ١٩٨٥، ١٩٥٦

١١- في دائرة النقد اللغوي، يوسف نمر دياب، دار الشؤون الثقافية العامة ط١ /١٩٨٨

١٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان

١٣- لسان العرب للإمام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت

١٤- مجمع البيان، العلامة الطبرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٥، ١٩٩٥

١٥- معاني الأبنية في العربية، الدكتور، فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد ١٩٨٠،

١٦- المفردات، الراغب الأصفهاني، بيروت، (د، ت)

١٧- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري، ط٣، مطبعة الديوان، بغداد ١٩٨٦

١٨- الميزان ، السيد محمد الطباطبائي ، قم